مع مهندس ألمانى ؟

أثناء زيارة لمعرض فرانكفورت ـ فى أوائل التسعينات ـ اضطررت للنزول فى فندق بمدينة دارمشتات ، وفى الاستقبال وأنا أكتب بياناتى ، إذا بنزيل واضح أنه ألمانى يسألنى بالعربية المكسرة : أنت من مصر ؟ رددت بالإيجاب ، قال : أهلا وسهلاً ، قلت أهلاً بك ، قال أنا وصلت الآن مثلك ، تمانع أننا ـ بعد أن نضع حقائبنا فى غرفنا ونرتب أمورنا ـ نتقابل هنا أمام الاستقبال بعد نصف ساعة ، ونخرج للعشاء ، فأجبته بكل سرور .

خرجنا للعشاء ، واقترح أن نمشى فى الهواء النقى ـ كان ذلك فى أكتوبر ! ـ من الفندق ، وهو فى المدينة الحديثة ، إلى المدينة القديمة ، حيث هناك مطعم مكسيكى شهى الطعام ، فوافقته وبدأنا مشوارنا .

بدأ يتحدث بالإنجليزية ، وحكى أنه عاش فى مصر عدة سنوات مع زوجته الفرنسية ، وأنهما يعشقان مصر لكرم أهلها وطيبتهم وروحهم المرحة البشوشة ، وكانت أسعد أوقاتهما عندما يتجولان فى أحياء القاهرة المختلفة ، ويجلسان فى المقاهى يتبادلان الحديث مع الناس ، وكيف كان ترحيب الناس بهما فى كل مكان ، حتى أنهم كانوا يدفعون لهما المشاريب . وأظهر إعجابه الشديد بالترابط العائلى فى مصر والعاطفة الأسرية .

ثم قال إنه يعمل الآن مهندس فى وكالة الفضاء الأوروبية ، ويرأسه فرنسى معتد بنفسه أكثر من اللازم ، وهكذا دائما الفرنسيون . ولكنه يتحمله برغم إحساسه بتفوقه على رئيسه ، ومثل ذلك كثير فى الهيئات والمنظمات الأوروبية .

ثم تكلم عن ألمانيا وكيف قاست فى الحروب ، هى وكل أوروبا ، وأن ليس للجميع

الآن سوف هدف واحد ، العيش فى سلام .

وتطرق فى الحديث إلى الشرق الأوسط ، وتساءل لماذا لا تحل مشكلة الفلسطينيين بتوطينهم فى البلاد العربية حتى يعيش الجميع فى سلام ؟

قلت : كيف يترك الفلسطينيون أرضهم ويعيشوا فى البلاد العربية ليأتى يهود من مختلف أرجاء العالم من روسيا إلى پولندا إلى غيرها ليعيشوا فى أرض الفلسطينيين ، ثم يعيش الجميع فى سلام ؟ السلام لا يقوم إلا على العدل ، وأعتقد أن الحكماء والمفكرين والفلاسفة قد فرغوا من هذه القضية من زمان .

قال : العالم كله الآن يتطلع إلى السلام ولا يريد ولن يسمح بحروب تعكر هذا السلام .

أجبته : ولكن هاهو العالم الآن يُجيش الجيوش لتحرير الكويت ، برغم أن عدد الكويتيين لا يتجاوز نصف مليون نسمة ، بينما الفلسطينيين المطرودين والمضطهدين داخل بلدهم ملايين .

قال : لماذا لا تحنون حنونا ، كم مرة حاربنا فرنسا ، وها نحن الآن نعيش معها فى سلام .

قلت : نعم بعد أن أخرجكم الفرنسيون من أرضهم واستردوا حقوقهم .

قال : بل أخذوا أكثر من حقهم ، استولوا على الألزاس واللورين ولو ذهبت لتلك المنطقة لو وجدت أهلها ألمان ، يتكلمون لغة قريبة من الألمانية ، ومع هذا فليست هذه مشكلة .

قلت : سواء كانوا ألمان أو فرنسيين ، فهم يعيشون على أرضهم ، ثم إننا لا نطلب للفلسطينيين أكثر من حقهم .

غير صديقى الموضوع .. وأصر على دفع العشاء برغم أنه لم يتعشى معى ، لأنه تناول عشائه فى الطائرة !